

أضواء البيان

@ 191 @ قال الشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه : أي بسبب اتخاذهم أيمانهم جنة وخفاء كفرهم الباطن ، تمكنوا من صدّ بعض الناس عن سبيل الله ، لأن المسلمين يظنونهم إخواناً وهم أعداء . وشر الأعداء من تظن أنه صديق ولذا حذر الله نبيه منهم بقوله : { هُمْ الْعَدُوُّ فَادْزَرَّهُمْ } وصدّهم الناس عن سبيل الله كتعويقهم عن الجهاد . كما بينه بقوله : { قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا }

وبقوله : { وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ }

وقوله : { الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُوا مَا قُتِلُوا } . قوله تعالى : { إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } . قال الشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه : ساء فعل جامد لإنشاء الذم بمعنى بُئسوا

وقد بين تعالى تلك الإساءة من المنافقين في عدة جهات منها قوله تعالى : { يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا }

وقوله : { إِنَّ الْمُتَنَادِّينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ }

وكان خداعهم بالقول وبالفعل ، وخداعهم بالقول في قوله عنهم : { يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ }

وخداعهم في الفعل في قوله عنهم : { وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ }

وفي الجهاد قولهم : { إِنَّ بَيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا } . قوله تعالى : { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ } . في هذه الآية نص على أن الطبع على قلوبهم نتيجة لكفرهم بعد إيمانهم ، ومثله قوله تعالى : { بَلْ طُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ }

وكقوله : { فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ }